أي بل نجمعها قادرين، وقيل المضمر كنا قادرين في الابتداء وقد اعترف به المشركون. وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع قادرون رفعا على خبر ابتداء مضمر أي بل نحن قادرون على أن نسوي بنانه والبنان عند العرب الأصابع واحدها بنانة قال عنترة: وأن الموت طوع يدي إذا ما وصلت بنانها ... فنبه بالبنان على بقية الأعضاء وأيضا فإنها أضعف العظام فخصها الله جل وعز بالذكر لذلك. قال الحسن والزجاج وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها ونؤلف بينها حتى تستوي ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر. وقال ابن عباس وعامة المفسرين على أن نسوي بنانه أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير ولا يمكنه أن يعمل به شيئا ولكنا فرقنا أصابعه حتى يعمل بها ما شاء. وقيل نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون. والأول أشبه بمساق الآية.

فصل قال ابن الخطيب رحمه الله وفي الآية إشكالات. أحدها ما المناسبة بين القيامة والنفس اللوامة حتى جمع الله بينهما في القسم. وثانيها على وقوع القيامة. وثالثها قال جل ذكره أقسم بيوم القيامة ولم يقل والقيامة كما قال عز وجل في ساير السور والطور والذاريات والضحى. والجواب عن الأول من وجوه أحدها أن أحوال القيامة عجيبة جدا ثم المقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال النفوس على ما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن أحوالها العجيبة قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. وقوله تعالى إنا عرضنا الأمانة إلى قوله تعالى وحملها الإنسان. وقيل القسم وقع بما للنفس اللوامة على معنى التعظيم من حيث أنها أبدا تستحقر فعلها وجدها واجتهادها في طاعة الله تعالى وقيل إنه تعالى أقسم بالقيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لأن النفس اللوامة إما أن تكون كافرة بالقيامة مع عظم أمرها وإما أن تكون فاسقة مقصرة في العمل وعلى التقديرين فإنها تكون مستحقرة. والجواب عن الثاني أن المحققين قالوا القسم بهذه الأشياء قسم بربها وخالقها في الحقيقة فكأنه قيل أقسم برب القيامة على وقوع القيامة. والجواب عن الثالث أنه حيث أقسم قال جل ذكره والذاريات وأما هنا فإنه تعالى نفى كونه سبحانه مقسما بهذه الأشياء فزال السؤال.

قوله بل يريد الإنسان ليفجر أمامه فيه وجهان. أحدهما أن يكون بل لمجرد الإضراب والانتقال من غير عاطف أضرب عن الكلام الأول وأخذ في آخر. الثاني أنها عاطفة قال الزمخشري بل يريد عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون إيجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر، أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب. قال أبو حيان بعد ما حكى عن الزمخشري ما تقدم وهذه التقادير الثلاثة متكلفة لا تظهر. قال شهاب الدين وليس هنا إلا تقديران. ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في قوله تعالى ليفجر أمامه. والتقدير يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا دائما. وأمامه منصوب على الظرف وأصله مكان فاستعير هنا للزمان والضمير في أمامه الظاهر عوده على الإنسان. وقال ابن عباس يعود على يوم القيامة بمعنى أنه يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث بين يدي يوم القيامة.

فصل قال مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد

ابن

ابن جبير رضي الله عنهم يقول سوف أتوب حتى يأتيه الموت على أسوأ أحواله. وعن ابن عباس بل يريد الإنسان ليفجر أمامه قال يعجل المعصية ويسوف بالتوبة. وجاء في الحديث قال يقول سوف أتوب ولا يتوب فهو قد أخلف فكذب وأخلف. وقال عبد الرحمن بن زيد بل يريد الإنسان ليفجر أمامه من البعث والحساب. ودليله يسأل أيان يوم القيامة أي يسأل متى يكون على وجه الإنكار والتكذيب وقال الضحاك هو الأمل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت. وقيل يعزم على المعصية أبدا وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة فالهاء على هذه الأقوال للإنسان وإذا قلنا إن الهاء ليوم القيامة فالمعنى بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي القيامة والفجور أصله الميل عن الحق.

قوله يسأل أيان هذه جملة مستأنفة. وقال أبو البقاء رحمه الله تفسير ليفجر فيحتمل أن يكون مستأنفا مفسرا وأن يكون بدلا من الجملة قبلها لأن التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل إلا أن الثاني فيه رفع الفعل ولو كان بدلا لنصب. وقد يقال إنه أبدل الجملة من الجملة لا خصوصية الفعل من الفعل وحده وفيه بحث وتقدم نظيرها في الذاريات وغيرها. والمعنى يسأل متى تقوم يوم القيامة.

فصل قال ابن الخطيب اعلم أن إنكار البعث يتولد تارة من الشبهة وأخرى من الشهوة. فأما تولده من الشبهة فهو ما حكاه الله عز وجل بقوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وتقريره أن الإنسان هو هذا البدن فإذا مات وتفرقت أجزاؤه واختلطت بأجزاء التراب وتفرقت بالرياح في مشارق الأرض ومغاربها فيكون تمييزها بعد ذلك محالا. وهذه الشبهة ساقطة من وجهين. الأول لا نسلم لا نسلم أن الإنسان هو هذا البدن بل هو شيء مدبر لهذا البدن فإذا فسد هذا البدن بقي موجودا كما كان وحينئذ يعيده الله تبارك وتعالى إلى بدن آخر فسقط السؤال. وفي الآية إشارة إلى هذه الآية أقسم سبحانه بالنفس اللوامة ثم قال جل ذكره أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس والبدن. الثاني سلمنا أن الإنسان هو هذا البدن لكنه سبحانه عالم بالجزئيات فيكون عالما بالجزء الذي هو بدن زيد وبالجزء الذي هو بدن عمرو وهو تعالى قادر على كل الممكنات فيلزم أن يكون قادرا على تركيبها ثانيا فزال الإشكال. وأما إنكار البعث بناء على الشهوة فهو قوله تعالى بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ومعناه أن الإنسان الذي يميل طبعه إلى الشهوات واللذات فإنكاره للبعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره.

قوله فإذا برق البصر قرأ نافع وأبان عن عاصم برق بفتح الراء والباقون بالكسر فقيل لغتان في التحير والدهشة ومعناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف. وقيل برق بالكسر تحير فزعا. قال الزمخشري وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره. قال غيره كما يقال أسد وبقر إذا رأى أسدا وبقرا كثيرا فتحير من ذلك. قال ذو الرمة

وكنت أرى في وجه مية لمحة ... فأبرق مغشيا علي مكانيا

وأنشد الفراء رحمه الله

فنفسك فانع ولا تنعني ... وداو الكلوم ولا تبرق

أي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك. وبرق بالفتح من البريق أي لمع من شدة شخوصه. وقال مجاهد وغيره وهذا عند الموت. وقال الحسن يوم القيامة

Copyright ... University